**حقوق الطبع محفوظة**

**الطبعة الأولى**

**١٤١٩هـ - ١٩٩٨م**

## الإهـــداء

إلى المغتربين بدين الإسلام، دون خجل أو وجل.

إلى الذين يؤمنون بأنَّ الله عزّ وجلّ لم يأمرنا إلاَّ بما ينفع، ولم ينهانا إلاَّ عمَّا يضرُّ.

إلى الذين لا يضعفون أو يتراجعون عن شرع الله، أمام عنوان الحضارة، والانفتاح، والتعايش.

# بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

# لماذا الشعور بالدونيَّة؟

لماذا بعضُ المسلمين يشعرون «بالدونيَّة»؟

بهذا السؤال فاجأني أحدُ إخواني الذي يتردَّد على الدوائر الرسمية، والمناطق المختلفة، وله علاقات متشعّبة... والذي يمتاز عن غيره بشخصيَّة قويَّة، وثقة عالية، واعتزازٍ بإسلامه المحصَّن بالتسليم.

فاجأني، ولم يُمْهلني، وتابع بحدَّةٍ، قلَّما أَلِفْتُها فيه:

مشهدٌ مؤذيٌ يتكرَّر أمامي، عندما يذهب بعضُ المسلمين (وفيهم متديِّنون كما أكَّد) لإتمام معاملة رسميَّة أو تجاريَّة، فإنَّهم يتغيَّرون عن طبعهم، فورَ احتكاكهم مع غير المسلمين!

تتغيَّر حركاتُهم ولهجتهم ولَكْنتهم وتصرُّفاتُهم وألفاظهم... كأنَّهم بذلك يريدون إثباتَ «حضارتهم» أمام الآخرين![1].

---

(١) راجع «وسوسة الشيطان الرجيم» عن الثقة بغير المتديِّنين أو غير =

كلُّ الكلمات الأجنبيَّة التي حفظوها تُصبح حاضرة، كذلك الابتسامات المُصْطنعة التي تُوزَّع يُمْنة ويُسْرة، والإمالة في أكثر الألفاظ، والمَسْكنة في أكثر الحركات. . .

تماماً كحالة الانبهار أمام كل ما هو غربي. . . لكن بشكل مُصغَّر.

وباختصار:

يتعاملون تعامل المنهزم مع المنتصر.

وختم أخي قائلاً:

**هناك بعضُ المسلمين لو رأيتَ تصرّفاتهم، لَرَغِبْتَ في تكذيب عينيك.**

* * *

راقبتُ هذه الحالة «المرضيَّة»، وضممتُها إلى ما عندي من مخزون. . .

فرأيت:

المبالغة في استقبال «غير المسلم» في الاحتفالات والحفلات التكريميَّة، إلى حدٍّ، أنَّ البعض تساءل عن سبب هذه التأهيلات الزائدة!

المبالغة في مدح شخصيات الآخرين، وتبخيس شخصياتنا.

---

= المسلمين، صفحة ٤٨ و٥١ و١١٦، وعن التعامل مع حديثي النِّعْمة والأغنياء، صفحة ١٧١ و١٧٤.

التأكيد في وسائل إعلامنا على دعوة الآخرين ومحاورتهم واستضافتهم، ولو تكلَّموا كلاماً عادياً، أو مستهلكاً، أو معروفاً... والزهد بِمَنْ عندنا، ولو شفَّعوا كلماتهم بأبحاث ودراسات وحُجج..

المبالغة في وصف تعاون الآخرين وتعاطفهم ومساندتهم، ولو أدَّى ذلك إلى الخروج عن المألوف... أو التضليل.

حرصُ بعضِ الأخوات من الأجواء الإسلامية على إظهار البهجة والسرور، حتى في السرِّ وجلسات التقييم (قد يجدْنَ تبريراً في العَلَن) بالوافدات والسافرات، وإبرازهن حتى ولو أَدَّى ذلك إلى الخروج عن «البروتوكول» أو عن الرصانة والإتّزان.

(بعضُهن يجاهر بمخالفتنا، والبعضُ يتحدَّى، كما رأينا ذلك في مؤتمر صحفي... وأكثرهُنَّ يتهكَّمن بالعلاقة معنا فيما بينهنَّ، إذا خَلَوْنَ إلى بعضهنَّ).

انتظارُ النتائج «العظيمة» والباهرة من الآخرين... لمجرَّد زيارة أو تصريح أو موقف ما!

وهذا في أحسن حالاته، سذاجة سياسيَّة.

الافتخار والتضخيم في علاقاتٍ وزيارات،... أصحابُها في أوساطهم، غير مقبولين، وليس لهم حضور أو تأثير!

* * *

**في ظلِّ هذه الأجواء، وغيرها، ممَّا بدأ الجميع يُلاحظها، كان لا بدّ من التنبيه على عزَّة المسلم، وعُلُوِّه... وأضعف**

**الإيمان، على ضرورة ثقته بنفسه.**

وهذا ما يُعرف من خلال نظرة عابرة إلى القرآن الكريم، وموقع المسلمين فيه، وغير المسلمين... كذلك للأحاديث الشريفة، والفرق بين المسلمين وغيرهم... والأحكام الشرعيَّة[1] المختلفة، الواجبة منها والمستحبة، والتي تضع الأمور في نصابها الصحيح.

لا بدّ من هذه الكلمة، قبل أن يستفحل المرض وينتشر... ويصبح عُرْفاً.

* * *

**ان الأوان لكي نعرف، أنَّ مرحلة الخمسينات والسِّتِّينات قد انتهت... ومرحلة الهزيمة قد ولَّت... ومرحلة التغرُّب لا بدّ أن تُواجه... ومرحلة الدفاع عن مبادئنا وقِيَمنا في وجه المستهزئين والمتَّهمين قد بدأت...**

**لقد انتقلنا من الدفاع إلى الهجوم.**

---

(١) راجع تحرير الوسيلة، الجزء الثاني، من صفحة ٤٤٨ إلى صفحة ٤٥٥.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

# قصة طريفة.. وحزينة

جاءني أحدُ إخواني، وقد كان نصرانياً، وأنعم الله عليه بنعمة الإسلام، وحسُن إسلامه.. جاءني شاكياً متذمِّراً من مَشْهد يتكرَّر معه ويُزْعجه، قال:

كُلَّما تعرَّف عليَّ مسلم، من الجيران أو مِمَّن أُصادفهم، ويعرف أنِّي «مسيحي» أحسُّ منه الانبهار، إنْ لم أقُلْ الصَّغار، ويبدأ بمدح أهلِ «مِلَّتي» وأسلوب حياتهم و«حرِّيتهم» و«نظافتهم»... وحبِّهم لبعضهم البعض!

والمؤلم أكثر، أنَّه في حديثه معي، يستعمل الكلمات الأجنبيَّة ولهجة خاصة.. تقرُّباً مني، ولاسترضائي!

أمَّا عندما يتطرّق في حديثه إلى مناطق «جماعتي» وقراهم ومدارسهم مدحاً وتبجيلاً، فإنَّه يصل بهم إلى درجة الكمال، في أمور غير واقعيَّة، بل هي أقرب إلى الخيال... أو بدقة أكثر، أقرب إلى الوهم المرضي، وبتعبير موجز، أقرب إلى الانسحاق!

وتابع هذا الأخ يقول:

يؤسفني أنَّ هذا المشهد يتكرَّر ولم أجدْ بعد تبريراً لذلك.

إنَّ أهم عمل يُمكنُ أن أقوم به عندما تسنح لي الفرصة، أن أُغيِّر هذه الصورة الكابوس من عقول المسلمين.

* * *

تعليقاً على هذه القصة التي أزعجتني، قرَّرت أن أكتب هذه الكلمات، رفعاً للمسؤولية، وتهيُّباً من ساعة السؤال عندما يقوم الناس لله ربِّ العالمين... وحتى لا أكونَ مِمَّنْ يقول:

﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[1].

---

(١) سورة الزُّمر المباركة، الآية ٥٦.

# رواسب التاريخ

لا شك أنَّ هذه الظاهرة «المستَفْحِلة» ليست وليدةَ الساعة، بل هي نتيجة ظروف وأحداث وتطورات. . أدَّت جميعها إلى ما نحن فيه.

ولم تُؤدِّ إلى ذلك إلاَّ نتيجة ضعف الإيمان وعدم الشعور بعزَّة المسلم، ونعمةِ الإسلام. . . ولو التفت هؤلاء إلى بعض أحكام دينهم، لأنقذوا أنفسهم من ذُلٍّ مُسْتورد.

قلتُ لأخي: إنَّ ما تراه ما هو إلاَّ نتيجة غزو الاستعمار لأكثر من قرن، ونتيجة الإحساس بالانبهار، ونتيجة عقدة «الخواجا». . . ولا تنسى سياسة القمع الطويلة، والقهر المستمر، والظلم المستشري.

وربَّما شعر البعضُ بالحاجة «إليهم». . .

فقاطعني أخي، على الرغم من عظيم أدبه، قاطعني مشفوعاً بحماسه:

هذا كان فيما مضى، وليس تبريراً على كل حال، كان في تلك الظروف القاسية، أمَّا الآن، لماذا هذا الشعور؟

أَلَسْنا نعيش عزَّ الإسلام منذ عقدين من الزمن؟

والانتصارات تتوالى، و«المارد الإسلامي» استيقظ من سُباته، وخرج من قُمْقُمه؟

أَلَيْس الإسلام حاضراً في كل الساحات، يتحرَّك، ويُثْبت وجوده في المساجد والمسيرات والجامعات والمجتمع؟

إذاً نحن خرجنا من المرحلة السابقة، فلماذا نجترُّها؟

حاولتُ أن أُوضِّح لا أن أُبرِّر. . . فتابع حديثه بكل اندفاع، ولم يعتبرْ أنَّه قاطعني هذه المرة،

تابع بثقة المسلم الثابت كالجبل. . قال:

يا أخي، أفهم أنَّ الأمم الضعيفة تتَّبع الأمم القويَّة، وأنَّ الشعوب المسحوقة تتَّخذ الشعوب المنتصرة قُدْوة. . . وهذا ما نراه عند الجميع، «عندنا» وعندكم، في المظاهر واللِّباس والمفاهيم والتصرفات ونمط العيش و«الصَرْعات». . .

لكنْ هذا لا يُبرِّر ما نحن فيه:

الإسلام تاريخ، وتراث، وحُكْم، ودولة، والإسلام له الفضل على البشريَّة. . .

بالله عليك: ما هو التاريخ الأميركي؟!

أليس هو إبادة جماعية لسكّان البلاد الأصليين، وما يحتاج ذلك إلى دماء وهمجيَّة ووحشيَّة؟

وما هو التاريخ الأوروبي؟

هل هو في القرون الوسطى وما فيها من مجازر ضد العلم

والفكر والمنطق؟

ثم، أتركُ كلَّ هذا:

أليس الله عزَّ وجلّ يقول:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فأين هي عزَّةُ المؤمن؟

ثم تابع أخي يقول، وأنفاسُهُ تقطع كلماته: تأمَّل، تأمَّل معي قولَ الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾[2].

* * *

توقَّف أخي «الجديد» هنا ليأخذ نَفَساً، وهو يتصبَّبُ عرقاً «طاهراً» هذه المرَّة، ومباركاً.

أمَّا أنا فكنتُ أشعر بدوار في الرأس سببه أمران:

**الأول**: أنِّي أزداد خجلاً من حديثه وحماسه... وكم تمنَّيْتُ أن يكون حديثُه «على الهواء مباشرة» ليسمعه كل المسلمين.

**الثاني**: كنتُ فرحاً بأخي الحبيب، لأنَّه يستوعب ويحفظ ما يقرؤه جيداً.

وقُلْتُ بصوت هامس: يا ليت «المسلمين» كذلك.

---

(١) سورة المنافقون المباركة، الآية ٨.

(٢) سورة النساء المباركة، الآية ١٣٩.

# هدف المدارس التبشيريّة

إلتقيتُ مع أخي «الجديد» في اليوم التالي، معتبراً أنَّ حديثه بالأمس قد انتهى عند حدِّه، وأنَّ هدوء اللَّيل، صادَرَ، صَخَبَ نهار أمس، ولا بدّ أن نتحدَّث عن موضوع آخر.

وقبل أن أُبادر، بادرني قائلاً:

هل قرأت جريدة «السفير» بالأمس؟

فلم أذهب بعيداً لطرح السؤال، وقبل أن أُجيب «ببراءة» ومن دون خلفيَّة، قال:

في مقالٍ للدكتور ميشال... في عدد يوم أمس، يقول بالحرف الواحد:

«المدارس الرهبانية» لم تكن يوماً حكراً على المسيحيين، لا بل هي فُتحت أصلاً للمسلمين من أجل تدجينهم وتثقيفهم، ليحاوروا الفكر الأوروبي والأميركي المسيحي، اعتمدت على العقل كي تُخرِّج التلاميذ من سقطة الهوى العاطفي المتعلِّق بالتقاليد العائليَّة والعشائرية»[1].

---

(١) جريدة السفير اللبنانية، الأربعاء ٢٩ ـ ٧ ـ ١٩٩٨، الصفحة ١٩.

فصُعقتُ لصراحة ما سمعت، ولوضوحه. . . وقبل أنْ أُعبِّر عن ردَّة فعلي، أخرج أخي المخلص المتحمِّس قُصاصة ورق من جيب قميصه، وأخذ يتحدَّث عنها، وينظر إليها، كأنَّه يمسك خريطة الكنز المفقود، قال:

نعم، لم تكن مشاريعهم «الإنسانية» لوجه الله، بل هي في الحقيقة مشاريع استعمارية لغزو العقول والهيمنة على النفوس. . . من خلال المدارس والجامعات والمستوصفات والمستشفيات. . .

وهل يُعقل غير ذلك، مِمَّنْ احتلَّ أرضنا، وقتل آباءنا، ونهب ثرواتنا؟

وهل هو حبٌّ مفاجيء هبط من السماء، أم حبٌّ عُذْري بريء؟!

ثم اندفع أخي في حديث مُوزِّعاً نظراته بيني وبين قُصاصة الورق التي بين يديه، قال:

لاحِظْ معي النص:

«المدارس الرهبانيَّة» تعني المدارس التبشيرية التي تدعو إلى عقائدهم ودينهم، وهي مزروعة كالفِطْر في مناطق المسلمين، وبحساب بسيط جداً، فهي «تغسل دماغ» عشرات الآلاف من أبنائنا كل عام.

هذا في بلد إسلامي صغير، أما لو لاحظنا كلَّ الأُمَّة

الإسلاميَّة، لوجدنا مؤسساتهم بعشرات الآلاف و«الضحايا» بالملايين.

ثم يقول الدكتور ميشال في نصِّه «الذهبي»:

«بل هي فُتحت أصلاً للمسلمين من أجل تدجينهم وتثقيفهم» فالهدف الأساس هو تدجين المسلمين لأنَّهم «وحشيون مُتخلِّفون» فلا بدّ من إنقاذهم، لضبطهم و«أَنْسَنَتهم» تمهيداً لتسخيرهم ليسيروا ضمن قوانين معيَّنة «كالرومت كنترول» أو حتى لا يُثيروا المتاعب بتخلُّفهم!

تأمَّل في العقليَّة التي تُدير هذه الأمور، وفي خلفيَّتها وأهدافها.

وتابع أخي، ثبَّته الله تعالى على دينه الحق، ليقول:

لاحِظْ النص:

لم يكتفوا بالتدجين، بل بالتثقيف أيضاً، لأنَّ المسلمين برأيهم مجموعة جهلة متخلِّفين... متناسين حضارة الإسلام في نشر العلم والحلم والصروح والتقدم والمدنيَّة!

ولماذا هذا التدجين والتثقيف؟

لا هدف من ورائه إلاَّ «ليُحاوروا الفكر الأوروبي والأميركي المسيحي» فلا بدّ من «التفضُّل» على المسلمين و«برمجتهم»... وإنْ كان الطرف الآخر هو الخصم والحَكَم!

وبقي من النصِّ فقرةٌ تدعو إلى الاعتماد على «العقل كي تُخرِّج التلاميذ من سقطة الهوى العاطفي المتعلِّق بالتقاليد...»

والمقصود بذلك طبعاً الأخلاق والسُّنن . . .

فعلاً، مَنْ ينظر إلى واقعنا اليوم يرى كم أُخرجنا من التقاليد والآداب والأخلاق والعاطفة العائليَّة.

* * *

«نعم، ما تقوله يا أخي وحبيبي، صحيح ومؤلم».

هكذا قلتُ له، ناطقاً بهذه الكلمات، وأنا أشبه بالمستسلم أمام هذا الحماس والصدق والعفويَّة . . . والتوحيد النابض.

وعندما لاحَظَ أخي ما أنا فيه من «الاستسلام» أمام هجومه وحقائقه، احتضنني، وضمَّني إلى صدره، كأنَّه يعتذر، وبِخُلُقه ودماثته «وطمعه» بي، أراد أن يُسكِّن من رَوْعي، فقال:

ما أردتُ من كلامي، إلاَّ تأكيد ما قُلْتَهُ لي بالأمس، وأن أُضيفَ إليه موثِّقاً له . . . وما أردتُ أذيَّتك واستحضار الهموم المخبوتة.

* * *

لم تمرّ لحظتان، حتى شعرتُ أنَّ النار التي تأجَّجت في قلبي، أخذت تنطفىء تحت وطأة دموعه الساخنة التي أحسستُ بها، دمعة دمعة.

# عندما إنتقلنا من الدفاع إلى الهجوم

حان الوقت الذي يجب أن يعرف المسلمون فيه، أنّ مرحلة الدفاع عن الإسلام ونظريَّاته ومفاهيمه وأحكامه قد انقضت.

أو، وحتى لا يشتبه الأمر على البعض، لا بأس من القول:

خير وسيلة للدفاع، الهجوم.

فالحالة المخيفة التي كانت تسيطر على الأُمَّة الإسلامية منذ مطلع هذا القرن، عندما تقاسمها الأعداء، ثم في فترة الخمسينات إلى السبعينات حيث تنازعتها وحوش القومية والشيوعية والإباحيَّة والعلمانية... هذه الفترة أَفِلتْ مع مطلع الثمانينات، ولله الحمد.

كان الهجوم شديداً وشاملاً، وشَمِلَ كافة المرافق، ولم يتركْ أسلوباً إلاَّ واستعمله... حتى ترك آثاره في المجالات الثقافية والسلوكية ونمط الحياة والمتسلِّطين على الحكم...

عندها حاول المسلمون الدفاع بشتّى الأساليب، وأبلوا بلاءً جيداً... لكن منهم مَنْ انهزم، ومنهم مَنْ استسلم، ومنهم مَنْ تراجع، ومنهم من ضعف...

ومنهم مَنْ انحرف نسبياً وبدرجة ما، وظنَّ أنَّ بعض

الشعارات أو الممارسات الإسلامية، يُمكنُ أن تُحصِّنه.

فظنَّ أنَّه يُحسنُ صُنْعاً.

هؤلاء، وهم موجودون بكثرة الآن، هم الذين نعاني منهم، . . ومن علاماتهم:

١ ـ لا يُسلِّمون تسليماً للحكم الشرعي، وهذا في أفضل حالاته، ضعف إيمان. . .، وربَّما يصل إلى نفي الإيمان مطلقاً، والله تعالى يقول:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

٢ ـ لا يؤمنون بالغيب كما ينبغي، كما هي سيرة السَّلف الصالح. . وهو الإيمان بالغيب الحقيقي والكامل. . .

ولا يكون المسلم مسلماً حتى يؤمن بالغيب، وعلى هذا تأسَّست معجزات الأنبياء عليهم السلام، وأكثر الأحكام الشرعية، وكافة شؤون المعاد والآخرة قال الله سبحانه: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾[2].

٣ ـ يريدون تفسير أو تبرير الحكم الشرعي بطريقة «علمية»!

وهيهات أن يفهم المرء معنى «العلميَّة» وضوابطها وأسسها. . . ولو في أدنى صورها.

---

(١) سورة النساء المباركة، الآية ٦٥.

(٢) سورة هود المباركة، الآية ٤٩.

حتى أنَّ أكثرهم، وحتى اليوم، لا يُميِّز بين النظرية العلميَّة، والمسلَّمة العلمية! فتراهم يخلطون الأمور خلطاً عجيباً.

فيُمكن أن يُصدَّق قولُ أو رأيُ النصراني أو اليهودي أو الملحد... لمجرَّد أن نُشِرَ رأيُهُ في الصحف أو نُقل في وسائل الإعلام!!!

وهذا يحصل كلَّ يوم تقريباً.

ولا يُصدَّق قولُ رسولِ الله ﷺ، مع تواتره، وإفتاء الفقهاء به... فقط لأنَّه لم يثبتْ علمياً!

أمّا تغطية الرفض وعدم التصديق، فيبدو أنَّها باتت مسألة سهلة اعتدنا عليها، كالقول:

ببُعْدها عن العقل، أو بتكلُّف تأويلها، أو التشكيك في أصل صدورها!!

ويسهل صدور ذلك، ولو من أُمِّيين في الاختصاصات الشرعية.

٤ ـ ينتقدون الأحكام الشرعية، بكل بساطة، وهي شريعة الإسلام، شريعة الله عزَّ وجلّ، بحُجَّة أنّها لا تتلاءم أكثر مع التطوُّر والحضارة!!!

وأكثر ما يُلفت النظر في هذا المجال، عندما تُنتقد عادةٌ إسلامية، أو سُنَّةٌ نبويَّة... لأنَّ الممارسة لا بُدَّ أن تكون حضاريَّة!

يقول وليم كليفورد، أحد المسؤولين في أوستراليا، في

تقرير رفعه إلى الأمم المتحدة، بعد أن حضر بعضَ المؤتمرات في دول إسلامية، ولاحَظَ ازدياد الطلب على ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية... يقول في تقريره مُحذِّراً الغرب المسيحي:

«...وأوصي بفصل القرآن عن السُّنَّة، وإقناع الناس بأنَّ هذا الذي يُسمَّى «سُنَّة» ليس إلاّ مجموع اجتهادات شتَّى لأُناسٍ وُجدوا في عصور متلاحقة، تكامل منها ما يُعرف اليوم بالتشريع الإسلامي،

أمّا القرآن فينبغي أن يخضع للتأويلات والاجتهادات المنفتحة والكفيلة بمسايرة الإسلام للنُّظم والقوانين المدنيَّة السائدة، وما تُقرِّرُهُ المنظَّمات والهيئات العالمية»[1].

٥ ـ يُحاولون «تبرير» بعض الأحكام، كأنَّها جاءت مُحْرجة لهم، أو، والعياذ بالله، كأنَّها مُخْجلة، أو وردت في ظروف تاريخية خاصة!

وبعضُ الأحكام الشرعية «يُجيزونها» بشروط، وفي حالات الضرورة، وعند الطوارىء فقط...

فيُضيِّقون على الناس بما لم يُضيِّقْ الله سبحانه عليهم... فقط، لأنهم «مُثقَّفون» وحضاريون!

ـ فتعدُّد الزوجات، لا يجوز إلاَّ في حالة المرض أو...

---

(١) راجع جريدة «الشرق الأوسط» ٣٠ ـ ٦ ـ ١٩٩٨.

سبحان الله، مَنْ يقول هذا؟

وصريح القرآن يُخالف ادِّعاءهم.

والغريب الغريب أنَّ مثل هذه الفكرة تُدرَّس في كتب وجمعيات إسلامية[1]!

ـ ومنهم مَنْ يقول إنَّ أحكام أهل الذِّمة أُلغيت!

فإذا تواضع، قال: لا يُمكنُ تطبيقها.

مع أنَّ الحقَّ، أنَّ هذا الأمر كغيره، راجعٌ لنظرة الحاكم الإسلامي الشرعي، فهو يُقدِّر الأسلوب والطريقة والمقدار..[2].

ـ ومنهم مَنْ يلغي الرقَّ من أساسه، لأنَّه، وببساطة، «عملٌ غير إنساني»، لا يتلاءم مع مبادىء التطوُّر والتحرر و«حقوق الإنسان»!

(وتراه يحشد في منزله ومكان عمله عدداً من الخادمات أو الموظَّفين الذين يترحَّمون على أيام الرّقّ).

ولم يُوضِّحْ أحدٌ مصير مئات الأحكام الشرعيَّة المتعلِّقة بهذا الموضوع.

وفي هذا المجال تفاصيل كثيرة لن نذكرها، حتى لا

---

(١) راجع «وسوسة الشيطان الرجيم في أمور الآخرة والدين» صفحة ١٠٥ للمؤلِّف.

(٢) المصدر السابق.

نستحضر المعارك الضَّروس بين «التقدُّميين والرجعيين» وإنْ كانت تحت عناوين جديدة مُسْتحدثة «كالظلاميين» المتوحِّشين، و«التنويريين» المحظوظين!

لكنْ مَنْ أراد الاطِّلاع، فالعبد الفقير الذي يكتب هذه الكلمات لم يكتشفْ جديداً، فعليه الرجوع إلى مئات الصفحات المختزنة في كل موسوعاتنا الفقهيَّة التي بها نفتخر ونعتزّ ولا نخجل.

وهيهات أن تُطفأ الأنوار النَّبويَّة.

٦ ـ منهم مَنْ ألغى أصلاً مسألة «حكم الإسلام» و«الدولة الإسلاميَّة» لأنَّ التطورات الاجتماعية والسياسية قد تجاوزت مثل هذه الأفكار!

وبعضهم في بدايات تنظيره «لفلسفة جديدة» ليس منتهاها «المواطنيَّة» في ضمن سياق «عَوْلَمي» أم يتناغم معه![1].

٧ ـ ومنهم مَنْ ينتقد بشدّة الحدود والتعزيرات... وحتى لا يُصرِّح «بوحشيَّتها» وبُعدها عن القوانين «الإنسانية» يُفْتي بضرورة عدم تطبيقها حتى لا تُشكِّلَ جواً إعلامياً ضاغطاً، وحتى لا نفقد الأمل الأخير في الحصول على شهادة «حسن سلوك»!!!

والله المستعان على ما يصفون.

* * *

---

(١) راجع «وسوسة الشيطان الرجيم» صفحة ٩١ إلى ٩٧ للمؤلِّف.

المهم، يجب أن يُدرك المسلمون أنَّهم انتقلوا من مرحلة الدفاع والضعف، إلى مرحلة المبادرة، والهجوم، وطرح ما عندهم... دون خجل أو وَجَل.

فالعجب كل العجب، كيف يحق للآخرين طرح الأفكار الاشتراكية والقومية والإلحادية والإباحية... بل حتى البوذيَّة والهندوسية... بل حتى البهائية والقاديانية... بل حتى العنصرية (خاصة في أميركا وأوروبا) والشيطانية... بل حتى «أديان» أخرى لا يتعدّى منتسبوها العشرات، مع أفكارهم الغريبة (أنظر إلى مواقعهم على الانترنيت)...

كيف يحق لهم كلّ ذلك، ولا يجوز لنا أن نطرح حقَّنا؟

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«فيا عجباً، عجباً، والله، يُميتُ القلبَ ويَجْلبُ الهمَّ، من اجتماع هؤلاء القومِ على باطلهم، وتفرُّقِكُمْ عن حقِّكم»[1].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

# الآية ١٢٠ من سورة البقرة
# تحسم المسار والمصير

**مشكلة بعضُ المسلمين في انهزامهم أمام الآخرين**، أنَّهم يُحاولون استرضاءهم واستمالتهم جميعاً، وأحياناً بأيِّ ثمن.

وهذا الأمر ليس فقط غاية في الصعوبة، بل مستحيل، ولم يصل إليه أنبياءُ الله عليهم السلام، لا لتقصير منهم أو نقص بهم، حاشاهم... بل لأنَّها سُنَّةُ الله في خلقه.

فما من إنسان يستطيع أن يُقنعَ كلَّ الناس ليسيروا معه «فَرِضا الناس غاية لا تُدرك».

ومَنْ يظنُّ أنه سوف يُغيِّر سُنَةَ الله تعالى، فهو مغرور مشتبه.

ومَنْ كان متواضعاً، خلوقاً، مُحباً للحقِّ وأهله، غير مكابر، يُسلِّم تسليماً، ويريد آخرته... مَنْ كان كذلك نُحيله على كتاب الله عزَّ وجلّ، خالق الخلائق أجمعين، حيث تُختصر كلُّ النَّظريات والوقائع والحقيقة، في كلمة جامعة، لا تقبل التأويل إلاَّ من معاندٍ للحق، وهي:

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1].

**فحتى لا يصرف المسلم وقته، ولا يُسرف جهده في ما لاينفع، ويُخاطر بآخرته... عليه أن يضع هذه الآية المقدَّسة نُصْب عينيه، يهتدي بها في كافة مراحل عمله السياسي والاجتماعي.**

---

(١) سورة البقرة المباركة، الآية ١٢٠.

# أخطر الأمور: أن يسقط المسلم من داخله

مهما كثرت علينا الهجومات والإفتراءات، المهم أن نبقى صامدين، واثقين، مؤمنين بعقيدتنا وقِيَمِنا وما ورد من سُنَّة نبيِّنا محمّد ﷺ.

**إنَّ أخطر ما يُمكن أن يُواجهه المسلمون هو أن يسقطوا من الداخل**، ويُشكِّكوا لا سمح الله بدينهم وأحكامهم التي قامت عليها أمَّتهم لمئات السنين.

**إنَّ من الظواهر المريبة أن نُخضع ما عندنا للمقاييس المادية** والاقتصادية والإنتاجية والنَّفعية... وعندها لا يبقى دين ولا إسلام.

أليس من بيننا مَنْ قال: بأنَّ القيام ببعض العبادات تُؤثِّر على القدرة الإنتاجية للمجتمع واقتصاد السوق؟!

فنظر إلى الإسلام نظرة جزء لا نظرة كل.

أليس هناك مَنْ قال أنَّ الصلاة رياضة للجسم؟! وأنَّ الوضوء نظافة ووقاية من الزكام؟!

هل هذه هي كل الصلاة التي أُمرنا بإقامتها وهل هذا هو الوضوء الذي أُمرنا به؟

* * *

كيف يستمر المسلم عزيزاً كريماً وهو ينهزم أمام:

١ ـ الغربي (الأشخاص والعادات والمظاهر والأقوال والنظريات والأسماء...).

٢ ـ والغني[١].

٣ ـ و«الفنان».

٤ ـ و«الخواجا».

٥ ـ والتطوُّر المادي أو التقني.

٦ ـ والمنصب.

٧ ـ والمسؤول.

٨ ـ والإعلام.

٩ ـ ومَنْ يرطن بالكلمات الأجنبيَّة[٢]...

١٠ ـ ومَنْ تتمايع ببعض اللهجات اللبنانيَّة المُصْطَنَعة!

١١ ـ ومَنْ تُقلِّد المذيعات التلفزيونيَّات المبتزلات.

---

(١) راجع «وسوسة الشيطان الرجيم» للمؤلف صفحة ١٧٤، تحت عنوان «وسوسة الشيطان للأغنياء والوجهاء في أوساط المؤمنين».

(٢) راجع «وسوسة الشيطان الرجيم» للمؤلِّف، صفحة ١١٦، حول ترك اللغة العربيَّة واستبدالها باللغة الأجنبيَّة.

١٢ ـ ومَنْ يبدو صغيراً أمام، الصغار عند الله عزَّ وجل (من الفاسقين والمفسدين . . ) .

١٣ ـ ومَنْ يتخضَّع رغبةً في منفعة ماليَّة أو ماديَّة .

١٤ ـ ومَنْ يذوب أمام مظهر أو عنوان!

كيف يستمر هذا المسلم عزيزاً واثقاً وقد نَسِيَ أنَّ «الله أكبر»؟!

ويلٌ لقوم زهدوا بمنحة ربَّانية تقول :

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] .

وصَدَقَ الصادق عليه السلام إذْ قال :

«العزيز بغير الله، ذليل»[2] .

فالمسلم يأخذ عزَّته من الله عزَّ وجلّ، الذي شرَّفه بالإسلام، ورفعه بالتوحيد . . ولا شرف ولا رِفْعة فوق ذلك .

ومن توَهَّم غير ذلك عاش ذليلاً وإنْ صوَّرَ له شيطانُهُ غير ذلك .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«مَنْ اعتزَّ بغير الله، أهلكه العزُّ»[3] .

---

(١) سورة المنافقون المباركة، الآية ٨.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ١٢٥٢٦ .
(٣) ميزان الحكمة، الحديث ١٢٥٢٥ .

## هل تحرمُ الاستفادة من الغرب؟

يحلو للبعض التساؤل: ولماذا لا نستفيد من الكفار، والحكمة ضالّة المؤمن، أنَّى وجدها أخذها؟

صحيح:

١ ـ لنا أن نستفيد من الكفار.

٢ ـ لكنْ ليس لنا أبداً، بل يحرم، أنْ نأخذ من الكفار أسلوبَ حياتهم، ومفاهيمَهم، وعقيدتَهم...

فالاستفادة منهم حاصلة فعلاً، وليست بحاجة لا إلى استفسار ولا سؤال ولا قرار!

هذا العبد الذي يكتب هذه الكلمات، أَلَيْس أمامه جهاز خليوي وآلة حاسبة وكمبيوتر؟

وأنت الذي تقرأ هذا الكلام، ألا تستعمل المصعد والتلفاز والثلاجة والغسالة؟

إذاً لماذا طرح أصلِ السؤال؟

نأخذ منهم اليوم، كما أخذوا بالأمس منَّا العلوم المَحْضَة في الطبيعة والطب والفلك والصناعة والزراعة والإدارة...

لكنْ لا نأخذ منهم النظرة إلى الحياة والآخرة والقِيَم والأخلاق والمقدَّسات. . . والشِرْك.

نحن لدينا عقيدة وقرآن وحديث وسيرة نبويَّة شريفة وتاريخ ونظام وسياسة، وطريقة في الأدب والتعامل. . .

ليس فقط نؤمن بها، بل نريد نشرها ونعمل لذلك ليل نهار[1].

إنَّ النصيحة التي يجب أن تُقال للمسلمين، هي، دعوتهم للإطّلاع على هذه الثروة الإنسانية التي لا تُثمَّن، لكي يشعر بالقوَّة والمِنْعة عندما يرى نِتاج الآخرين، . . . عندها سوف يرى ما عنده عظيماً عظيماً، وما عند الآخرين لا يستأهل تضييع الوقت.

أيها المسلمون:

﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾[2].

أيُّها المسلمون: أنتم الأعلَوْن دوماً.

**لا صحة لما يُقال أنَّ الإنسان له قيمة ذاتية، بغضِّ النظر عن عقيدته ومسلكه.**

فالقيمة والحصانة والحماية مُتأتِّيةٌ من ارتباطه بالله جلَّ

---

(١) راجع «وجوب دعوة الناس إلى الإسلام» للمؤلِّف.
(٢) سورة البقرة المباركة، الآية ٦١.

ثناؤه. . . فإذا انفصل عن هذا الارتباط، أصبحت له أحكامٌ خاصة ربُّما تصل إلى حدِّ القتل، كما في حالة الارتداد أو الحرب على الإسلام.

أمَّا المسلمُ فله أن يعتزَّ بدينه، فهو أفضل الأديان، ويعتزَّ بإيمانه وقِيَمِهِ وتقاليده وسُنَنِ نبيِّه فوق شرائع وقوانين الدنيا.

قال الله عزَّ وجلّ:

﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

فلا يشعر المسلم بالضعف ولا بالانهزام ولا بالانبهار تجاه كافة المظاهر والمفاسد والعادات الدخيلة والغريبة، لأنَّ كلَّ حركة وانتماء له بالأصل، هو لله ربّ العالمين، فكيف يتخلَّى عن ذلك وقد أعلن مراراً، ويُعلنُ كلَّ يوم:

﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[2].

ويتعجَّب المرءُ فعلاً، من هذه السقطات السريعة من بعض المسلمين، والتي لا يُمكنُ تفسيرها، إلاَّ بهشاشة الإيمان أصلاً. . . فينهار عند أول إغراء أو امتحان.

فبسهولة يتخلَّى البعض عن ما كان يعتقد به قبلاً من حرمة الغناء والاختلاط. . . وبعض النساء تتخلَّى عن حجابها أو

---

(١) سورة آل عمران المباركة، الآية ١٣٩.
(٢) سورة الأنعام المباركة، الآية ١٦٢.

عباءتها، وبعضُ الشباب يختلط بمَنْ لا يجوز الاختلاط به. . . كل هذا يجري تحت عنوان الحضارة، والانفتاح، والتطور!

وهذه المصطلحات بذاتها بحاجة إلى تعريف صحيح، لا يخضع لمنطق المجتمع، ولا يئنُّ تحت ثِقله وضغطه.

فالمؤمن قويٌ صلب، يعتزُّ بدينه، ويُضحِّي بكل ما يستطيع حفاظاً على المعتقد والسلوك.

«إنَّ المؤمن أشدُّ من زُبَرِ الحديد، إنَّ زُبَرَ الحديد إذا دخل النَّار تغيَّر، وإنَّ المؤمن لو قُتل ثمَّ نُشر، ثم قُتل، لم يتغيَّرْ قَلبُه»[1].

المؤمن عزيز، بعزَّة الله، كريم، شامخ، منيع، حصين، صلبٌ، لا يخجلُ بما عنده من شرع، يقول كلمة الحقّ ولو اجتمع كلُّ الناس على محاربته. . . يكفيه رضا الله عنه، حيث قال جلَّ جلالُه كما نُقل عن مولانا الصادق عليه السلام:

«لو لم يكن من خَلْقي في الأرض فيما بين المشرق والمغرب، إلاَّ مؤمن واحد مع إمام عادل، لاستغنيتُ بعبادتهما عن جميع ما خلقتُ في أرضي، ولقامت سبعُ سماوات وأرضين بهما»[2].

المؤمن المسلم كرَّمه الله وعظَّمه ورفع شأنه. . . فلماذا يُذلُّ نفسه باتِّباع حكم الجاهلية ومفاهيمها وما يُنقل في وسائل إعلامها؟

---

(١) ميزان الحكمة، الجزء الأول، الحديث ١٤٦٣.
(٢) بحار الأنوار، الجزء ٧٥، الصفحة ١٥٢.

أَلَيْسَ «المؤمن أعظم حرمةً من الكعبة»[1]؟

أيها المسلم،

اخجلْ من تصرفات الانسحاق والوَهَن، ومن تقليدك للنصارى واليهود. . .

أتريدُ منهم العزَّة؟

هذا وَهْمٌ منك وسراب.

﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾[2].

* * *

**أخي، لا تظنُّ أنَّك إذا تنازلتَ سوف تربح، بل ستزداد خسارة وذُلاً. . .**

أمَّا ما تراه من غَلَبَةٍ لهم في هذه الأيام، فهذه غَلَبَةٌ مؤقَّتةٌ عابرة، لا تلبث أن تمضي، وهذه هي سُنَّة التاريخ.

فمرَّة لنا عليهم، ومرَّة لهم علينا. . . وختامُها، نَرِثُ الأرض، كلَّ الأرض، حاكمين بحكم الإسلام.

فلا ننظرْ إلى التاريخ نظرةَ هذه الأيام التي نعيش، والتطورات التي تُحيط، والخسائر التي تقع. . .

بل النظرة يجب أن تكون أشمل وأكمل. . . بشمول وكمال وتضحيات الأنبياء وأتباع الأنبياء.

---

(١) بحار الأنوار، الجزء ٦٨، الصفحة ١٦.
(٢) سورة النساء المباركة، الآية ١٣٩.

والقاعدة في موضوعنا الذي نحن فيه، هي:

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾[1].

تماماً كما أنَّ القاعدة التي طُبِّقت على ما كان يُسمَّى «بالاتحاد السوفياتي»، وهي سُنَّةُ الله عبر التاريخ، هي:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾[2].

ومصير «الولايات المتَّحدة الأميركية» سوف يكون على أساس:

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[3].

* * *

أخي المسلم،

أنت على الحق، ما دُمْت مُتقيِّداً بأحكام الإسلام... وماذا بعد الحقِّ إلاَّ الضلال؟

---

(١) سورة آل عمران المباركة، الآيتان ١٩٦ ـ ١٩٧.
(٢) سورة النحل المباركة، الآية ١١٢.
(٣) سورة الإسراء المباركة، الآية ١٦.

## إعتراف هام

على المسلم إذاً، أن يتحصَّن عن كل غزو خارجي، مهما كان عنوانُه «حوارياً أو انفتاحياً».

وأن يستحضر دائماً إنتماءه، وعزَّته التي هي من الله جلَّ جلالُه.

وهنا نقطتان:

**الأولى**: أن الله سبحانه حذَّرنا شديداً من اتِّباع أهلِ المِلل الأخرى.

**الثانية**: إعتراف من أحد «المعنيين» بعبثيَّة الحوار فضلاً عن التنازل.

* * *

أمّا على صعيد التحذير الإلهي، فقد بيَّن سبحانه أنَّ الهدف النهائي لليهود كما النصارى، هو إخراجنا من إسلامنا.

وهذا أمرٌ واضح لكل مَنْ ينظر في آيات الله عزَّ وجلّ... ومنها:

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[2].

وقال تعالى:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾[3].

وموقفنا هو موقف أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام حيث قال:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾[4].

فمن السذاجة الظن بأنَّهم يُساهمون بنيَّة طيِّبة في البحث والتطوير للمجتمع الإسلامي... تحت عنوان، ما يُسمَّى «بالمؤسسات الإنسانية» والتعليميَّة... أو فيما يخصُّ اللغة العربية[5].

---

(١) سورة آل عمران المباركة، الآية ٦٩.

(٢) سورة آل عمران المباركة، الآية ١٠٠.

(٣) سورة البقرة المباركة، الآية ١٠٩، كذلك عليك بمراجعة الآية ٨٩ من سورة النساء والآية ١٢٠ من سورة البقرة.

(٤) سورة آل عمران المباركة، الآية ٦٧.

(٥) هذا المفهوم الخاطىء سائد جداً في بلاد الشام، نتيجة تأليف بعض الكتب والموسوعات، أو المساهمة في بعض المعاجم اللغويَّة وغضِّ الطرف عن السلوك العام.

كما لو قامت طائفة من غير المسلمين، وادَّعت أنَّها تعمل لمصلحة الإسلام والمسلمين!

أمّا ما حدث في التاريخ، فأمرٌ معلوم للجميع، خاصة:

ـ بعض المؤمرات المحاكة ضد الأئمة عليهم السلام والعلماء الأعلام.

ـ تاريخ الصليبيين... الذين ما تحرَّكوا إلاَّ تحت إشراف وتوجيه وإصرار قياداتهم الدينيَّة.

ـ التاريخ الحديث الذي ما زلنا نكتوي بنيرانه حتى الآن، والذي هو السبب في جُلِّ مآسينا.

* * *

أما النقطة الثانية، فهي اعتراف هام من أحد أصحاب التجارب الحاليِّين، حيث ذكر في مقالٍ له في جريدة السفير بتاريخ ١٨/ ٧/ ١٩٩٨ أموراً كثيرة[١]، نقتطف منها ما ينفعنا في حياتنا، حتى نضم تجربته إلى ما عندنا:

«فالحوار هو صداقات وعلاقات شخصيَّة وبروتوكولات من كل نوع».

«الهدف من أي حوار ليس استجلاب طرف محدد إلى معتقدات الطرف الآخر... بل إن مجرَّد التقريب غير ممكن».

---

(١) يُراجع هذا المقال، والتعليق عليه بتاريخ ٢٤/ ٧/ ١٩٩٨.

«فلأنَّنا عاينَّا بالتجربة نماذج من هذا الحوار . . . تُعيدنا إلى صعوبات وعوائق تكاد بدورها تردُّنا إلى حيِّز الاستحالة أو لا مردوديَّة الحوار».

فهذه نماذج لا تحتاج إلى تعليق مِمَّنْ جرَّب، لكن بحاجة أكيدة إلى إعادة نظر في المواقف، وإعادة تأمُّل وتدبُّر في الآيات القرآنيَّة . . . وإلى شجاعة بسيطة، وإنْ صَدَمَتْ الواقع الحقيقي، والأوهام المبالغ فيها.

## أيُّ علمٍ مجَّده الإسلام؟

بعضهم آخذٌ في تمجيد «العلم» وتعظيمه. . . حتى أصبح هو الميزان والمقياس.

١ ـ فلا يُؤمن بشيء، ولا يفعل شيئاً إلاَّ بطريقة علميَّة!

٢ ـ وإذا أراد أن يُهيمن عليك ادَّعى أنَّ أسلوبه علمي.

٣ ـ والشبهة الكبيرة أنَّه في كل شاردة وواردة يُحاول الاستقواء لنصرة رأيه بآية أو رواية. . . ولو انتُزعت من سياقها، أو بُترت عن مقصودها!

فإذا أردنا أن نقيس كلَّ شؤون الدين بالمَسْطرة والقلم. . . مُحِقَ الدين.

هذا أولاً.

وثانياً:

**العلم الذي مَدَحَهُ الإسلام، في الآيات والروايات، ليس مُنْفصلاً عن العقيدة من جهة، وعن المسلك من جهة أخرى.**

فإن كان «العلم» منفصلاً عن العقيدة، وقُصد به علم

المختبرات فقط، فماركس ولينين من رؤوس المؤمنين، والعياذ بالله!!!

وإنْ كان منفصلاً عن المَسْلك، فماذا نفعل بالنصوص المتحدِّثة عن علماء السوء، وعلماء الدنيا، وعلماء النار، والعلمُ الوبالُ على صاحبه، وعن العلم الذي هو شيطنة، وعن الذين يأكلون الدين بالدنيا؟!...

ولتغيَّرت مفاهيم الإسلام من أساسها.

* * *

**إنَّ العلم الذي يقصده الإسلام، هو الذي يهدي إلى الإيمان والتقوى**، ويجعل صاحبه منضبطاً بضوابط الشرع والدين، وليس هو مجرَّد نظريات في الكيمياء والطب والفلك[1].

والعلم الذي مجَّده الإسلام ودعا إليه، هو العلم الذي رأسه التواضع «ومن ثمراته التقوى، واجتنابُ الهوى، واتِّباع الهدى، ومجانبةُ الذنوب، وموادَّة الاخوان، والاستماعُ إلى العلماء والقبولُ منهم..»[2] وليس العلم الذي يدعو إلى التكبُّر،

---

(١) وأنا أكتب هذه الكلمات، (في آب ١٩٩٨) نُقل في نشرات الأخبار، أنّ مجموعة من الأطِّباء والاختصاصيين تُشرف على تعذيب السجناء في معتقلات اليهود.
فهل نفع «علمهم»، بحسب المصطلح، هل نفع الإنسانيَّة؟

(٢) مضمون حديث شريف.

والفساد، والرشوة، والنَّزوة، واستغلال الناس والمنصب، وإنكار الحق.

والعالم الذي مدحه الإسلام هو الذي له «ثلاث علامات:

العلم بالله، وبما يُحبُّ، وما يكره»[1].

وليس هو الذي يُجاهر في عدائه لله تعالى، وفي عناده، وطغيانه..

وفي النصِّ الشريف عن العالم الحقيقي وليس المزيَّف، كما ورد عن رسول الله ﷺ:

«مَنْ أُوتي من العلم ما لا يُبْكيه، لحقيق أن يكون قد أُوتي عِلْمَ ما لا ينفعه»[2].

**لأنَّ العلم الحقيقي هو الذي يُؤدي إلى زيادة الخشوع والتقوى، لذلك يُبكيه**... أمّا عدم النَّفع، لأنَّه لا ينفعه في الآخرة وهي المقياس.

وأكثر مَنْ يمدحون العلم في زماننا بالكاد ينفعهم في دنياهم فقط.

ويستشهد الرسول ﷺ، بوصف الله بالعلماء في قوله عزَّ وجلّ:

---

(١) مضمون حديث شريف.

(٢) حديث شريف.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا ١٠٩ ﴾[1].

وبعضُ مَنْ يهوى الاستشهاد بالآية الكريمة ﴿ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ في كل مناسبة، حتى ولو لم يكنْ الاستشهاد مناسباً أو صحيحاً. . . إنَّما يكون قد انتزع الآية عمَّا قبلها وعمَّا بعدها. . . وهذا تضليل، وإنْ عن غير قصد.

فالآية المقدَّسة عن الله جلَّ ثناؤه تقول:

﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩ ﴾[2].

(لاحِظْ صدرَ الآية وخاتمتها ثم موقع الذين يعلمون).

فالعالِمُ المقصود، هو القانت لله تعالى في الليل، والقائمُ والساجد والمتعبِّد الذي يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربِّه. . . لا العالم الذي يُفسد فطرةَ الخلق ويدعو إلى الإلحاد.

**والنتيجة أنَّ كلَّ علم ينقطع عن أصله الإيماني، لم يمدحْه القرآن الكريم، ولم يُثن على أهله.**

---

(١) سورة الإسراء المباركة، الآيات ١٠٧ ـ ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٢) سورة الزُّمر المباركة، الآية ٩، قانتٌ: خاضعٌ لله تعالى دائماً، آناء الليل: ساعات الليل.

وحان لهذا الأمر أن يُصبح واضحاً.

**من هنا وجوب الحيطة والحذر من أي فكر أو ثقافة أو علم يأتي من الغربيين، من أن تُداخله رواسب أو مفاهيم مخالفة لأُسُسِنا الدينيّة النقيّة الأصيلة.**

خاصة أنَّ أكثر التاريخ الأوروبي معاند للدين... وللإسلام بشكل خاص.

* * *

عفوك يا ربِّ من هذا الاتجاه الانهزامي أمام «العلم الحديث»، واعتبار أنَّ كل نظريَّة قانون مُسَلَّم! (مع أنَّ ما يُنْشَر في الصحف من إبطال وانتقاد، أمرٌ يومي).

وأنَّ كلَّ مَنْ حَفِظَ القواعد والمصطلحات أصبح عالماً!

وأنَّ كلَّ مَنْ أكثر الكلام والتشدُّق والحركات بيديه أصبح مُثقَّفاً!

# على المسلم أن يطَّلع على تاريخه ويفتخر به

**مشكلة بعض المسلمين اليوم، بل أكثرهم، أنَّهم لا يعرفون تاريخهم أصلاً، وعلى الرغم من ذلك ينتقدونه!**

لا يعرفون عقيدتهم، وعلماءهم، وأسس دينهم، ومَنْ مرَّ في تاريخهم، والذين ضَحوْا، والذين آوَوْا ونصروا، والذين جاهدوا، وأبلوا بلاءً حسناً، . . . ومَنْ وقف في مواجهة الأعداء الكُثُر. . .

وكم هو الثمن باهظ الذي بُذِلَ لِيَصِلَ إلينا الإسلام ناصعاً.

**إنَّ الأُمَّة التي لا ماضي لها، ولا تاريخ تعتزُّ به، وتتَّكىء عليه، لن يكون لها حاضرٌ آمن، ولا مستقبل مأمول.**

**إنَّ الأُمَّة التي لا تحترم تاريخها، ولا تحترم نفسها ووجودها وكيانها وقِيَمَها. . . لن يحترمها الآخرون**، ولن يحرصوا عليها، بل لن يلتفتوا إليها. . . بل سوف يتآمرون على بيعها، بأبخس الأثمان.

وهذا هو الحاصل فعلاً الآن.

في اليوم الذي كُنَّا نُصدِّر الحضارة والأخلاق والقوانين إلى العالم، كان العالم يتخبَّط في ظلماتٍ بعضُها فوق بعض.

فكُنَّا خير أُمَّةٍ أُخرجت للنَّاس... وسوف تبقى هذه الأُمَّة كذلك، حتى تحكم شريعة الله في الأرض، لأنَّها شريعة التاريخ: شريعة كلِّ زمان وكلِّ مكان.

* * *

**آن الأوان لنخرج من عقدة التقليد الأعمى لكلِّ ما جاءنا من الغرب، وأنَّ كلَّ ما يصدر عنه مقبول.**

وعلينا الحذر من كل ما يأتي منه، تماماً، كما يحذر المختبرُ من قبول عيِّنات الدم المتبرَّع بها خشية الوقوع في «الأيدز» حيث لا يُرجى الشفاء.

إنَّ وسائل الإعلام تضخُّ في كل يوم، ما يَمْسَخُ تاريخنا، ويُعظِّم تاريخ الآخرين... فيعيش المسلم حالة الانهزام والانبهار.

أصبحت الشخصية الغربيَّة، وللأسف، هي القدوة، في المسلسلات والأفلام والإعلان، وكأنَّ هذه الشخصيَّات قادة للعالم، وعلى الجميع أن يقتدي بهم.

فإذا اطَّلعت على تفاصيل حياتهم، وآرائهم... أُصبت بالغَثَيان والاشمئزاز.

وبالمقابل هناك احتقار لتاريخنا وشخصياتنا وأبطالنا

وعاداتنا ولغتنا. . . وحتى لأحكام ديننا[١] . . . مقابل مَنْ يرطن باللغة الأجنبيَّة، ويلبس الثياب الممزَّقة والوسخة[٢]، ويضع «القرط»[٣] في أُذُنِهِ. . . وأشياء معروفة نأنف عن ذكرها.

لمصلحة مَنْ عرض الأفلام التي تُمجِّدُ قَتَلَةَ آبائنا، ومُحْتلي أرضنا، وسارقي ثرواتنا ونفطنا؟! . . .

* * *

إنَّ «إختراع» تاريخ مختلف عن تاريخنا الحقيقي، يَصُبُّ في هذا المصب، أو المبالغة في إبراز تاريخ عابر. . .

وليس عبثاً أن تذهب إلى قاعة «الترانزيت» في مطار القاهرة، فلا ترى إلاَّ آثاراً وهدايا وتُحف. . . فرعونيَّة، فيتساءل المرءُ: أين حصة الإسلام في تاريخ مصر؟!

وأن تاريخ العراق يُبرَّز كلدانياً أو آشورياً.

والآن في الجزائر الثورة «الأمازيغيَّة» لإحياء تراث البربر ومحاربة التعريب.

واتفاقية أيار ١٩٤٦ بين الوكالة اليهودية وبعض الأطراف اللبنانية، وما فيها. . ومن جملة ما فيها، إثبات الفينيقيَّة، ليكون

---

(١) مسألة ما يُسمَّى «بحقوق المرأة» وتعدُّد الزوجات في الأفلام المصرية.
(٢) على طريقة «الهيبز» المشرَّدين.
(٣) الحَلَق.

التحالف طبيعياً بين أحفاد الملك سليمان والملك الفينيقي أحيرام!

إنَّ هذه المحاولات وغيرها مصادرةٌ لتاريخ الإسلام، وتضخيمٌ لوقائع وأوهام.

يقول المستشرق الإنجليزي (هـ. ايرـ جب) في كتابه: «إلى أين يتَّجه الإسلام»:

«قد كان من أهم سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن...».

وقال أحد المستشرقين في كتابه «الشرق الأدنى: مجتمعه وثقافته»:

«إنَّنا في كل بلد إسلامي دخلناه، نبشنا الأرض لنستخرج حضارات ما قبل الإسلام، ولسنا نطمع بطبيعة الحال، أن يرتدَّ المسلم إلى عقائد ما قبل الإسلام، ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات»[1].

---

(١) راجع «المسلمون» في ١١/ ٤/ ١٩٩٨.

# بعض المسلمين ينهزمون مرَّتين

بعد التطورات الأخيرة في أندونيسيا[1]، توجَّه إلى عاصمتها جاكرتا النائب الأميركي «كريس سميث»، رئيس اللجنة الفرعية لحقوق الإنسان بالكونجرس، حيث نقل للرئيس الأندونيسي الجديد، بحر الدين حبيبي، رسالةً من الحكومة الأميركية: «تأمل فيها وتتوقَّع ألاَّ تُصبح أندونيسيا دولة أصولية» وأعرب بصراحة عن مخاوفه ومخاوف المسؤولين الأميركيين.

ليس الخبر هنا، لأنَّه كما يُقال في الدراسات الإعلامية، ليس الخبر أن يعضَّ الكلبُ الرجلَ، إنَّما الخبر أن يعضَّ الرجلُ الكلب... وخبرنا هنا، هو في ردِّ الرئيس حبيبي، رئيس أكبر دولة إسلاميَّة في العالم، عندما قال:

«إنَّ بلادنا لا تعتزم إقامة دولة إسلاميَّة أصوليَّة... وإن شعار أندونيسيا سيكون «التسامح»، الذي تدعو إليه مبادىء «البانشاسيللا»!...».

---

(١) نحن في صيف ١٩٩٨، وقد عُزل منذ أسابيع «سوهارتو» عن السلطة، وعُيِّن مكانه «حبيبي».

**هنا يلحظ المرءُ أنَّ بعض المسلمين ينهزمون مرَّةً أمام إيمانهم بالإسلام، ومرَّةً أخرى عندما «يُثْبتون» براءتهم من «تهمة» الولاء للإسلام، وذلك أمام الأعداء والمتربِّصين.**

فالنائب الأميركي لم يهدأ له بال، حتى أخذ العهود والمواثيق من رئيس الدولة في أنَّه لن «يتورَّط» في إقامة حكم إسلامي.

وأكَّد رئيس هذه الدولة الإسلامية بأنَّ شعار الإصلاحات في دولته هو «التسامح» وليس الإسلام!!!

كما أكَّد على المبادىء «الوطنيَّة» تحت شعار «البانشاسيللا».

وفي مثل هذه المواقف يحتار المرءُ من النتيجة المرجوَّة من أشخاص يُبالغون أمام الأعداء في البراءة من أنفسهم وعقيدتهم، وفي إثبات انسلاخهم عن تاريخهم وشعبهم!

وهذا الموقف الذي يتكرَّر مرّات ومرّات كلَّ يوم، يُذكِّر بتلك الباحثة الماليزيَّة «المنفتحة والمتحضِّرة» التي أرادت أن تُثبت تقدُّمَ بلادها في مؤتمر «آسيا والإسلام» الذي عُقد في طوكيو، بتأكيدها، أنَّ ماليزيا ليست دولة إسلامية!

**إلى متى سيبقى بعضُ الناس عندنا مصابون «بالفوبيا» من النظام الإسلامي وتطبيق شريعة الله عزَّ وجلّ على خلقه، خاصةً في بلاد المسلمين؟!**

وما المصلحة في أن ينحو هذا المنحى بعض «المثقَّفين» أيضاً، وليس السياسيين فقط، حتى أنَّ بعضهم يتجنَّب استعمال المصطلحات الإسلامية الأصيلة، مُسْتبدلاً إيَّاها بمصطلحات أخرى «معدَّلة» ومشذَّبة ومهذَّبة؟!...

ألا يُلاحَظُ أنَّ هذا البعض يتحدث عن «المجتمع المدني» بدل «المجتمع الإسلامي..» وعن «حكومة العدل» بدل «حكم الإسلام»... وعن «المشروبات الروحية» بدل «الخمر».. وعن «المساكنة» بدل الزنى، وعن «ألعاب التسلية» بدل القمار والميسر...؟!

بل إنَّ بعضهم يدعو إلى مبادىء الأديان السماوية والقِيَم «الروحية» حتى يخال المرء عدم الفرق بين الإسلام والمسيحية والبوذيَّة والهندوسية..!

كلُّ ذلك حتى لا «يُشْتبه» في أنَّه يدعو إلى الإسلام.

ومن آخر هذه النَّغمات المبتدعة، والجرعات المخفَّفة، «لإسلام مُخْتَرَع» يُمكنُ الحديث عنه دونما خجل أو حذر... الدعوة إلى «الأديان الإبراهيمية الواحدة»!!!

فيا تُرى ما الفرق بين الإسلام واليهودية؟!

فلا حول ولا قوَّة إلاّ بالله العليِّ العظيم.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ ﴾[1].

* * *

**نفهم أن يخاف أعداؤنا من الإسلام، لكنْ من الصعب أن نُفهِّم لماذا يخاف أبناءُ هذا الدين منه؟**

نفهم أن يأتي سناتور أميركي «ليستَجْوب» بعض المسؤولين في «تهمة» إقامة حكم إسلامي. . . ومن حقِّنا أن نسأل:

ما رأي «حامية» الديمقراطية في العالم، لو اختار شعبٌ كشعب أندونيسيا مثلاً الذي يزيد عن المئتي مليون مسلم، لو اختار تطبيق حكم الإسلام، ماذا سيكون موقفهم عندئذٍ؟!

وهل سوف تتكرر المآسي «التأديبيَّة» التي حصلت في بعض البلدان، كتركيا وغيرها؟!

وهل أنَّ خيار الديمقراطية إذا كان لصالح الإسلام، يُصبحُ تخلُّفاً وهمجيَّة؟!

**لكن يبدو أنَّ شعار «الديمقراطيَّة» هو فقط لحصار الإسلام، فإذا كان لصالح الإسلام، نُسف من أساسه.**

وبكلمة أخرى:

---

(١) سورة الكهف المباركة، الآية ٥.

إنَّ الطاغوت لم يكنْ يوماً مع الشعب، بقدر ما كان عدوّاً للإسلام.

* * *

ومن جملة هذه النماذج التي تنهزم ثم تخاف ثم تنساق في حملة التخويف من «الإسلاموفوبيا» ما نشرته «الشرق الأوسط»[1] لِمَنْ يُسمُّونه بالخبير الإيراني[2] أمير طاهري، في تقرير له من جاكرتا، من أنَّ «أصوليين» من دول عربية وإسلامية يتدفَّقون على أندونيسيا... للسيطرة على حركتها السياسية... ونقل عن «شُهود عيان» كيف نهبوا وحرقوا متاجر ومنازل الأقلية الصينيَّة!

مثل هذا الكلام من مثل هذا «الخبير» النحرير «المثقَّف» لا يُصدَّق، لأنَّ «الجحافل» الزاحفة من الأقطار، لو كانت، لبانت... إلاَّ إذا ادَّعى هذا «الخبير» بأنَّ «الأصوليين» يلبسون «الطاقيَّة الخفيَّة».

هذا أولاً، وثانياً، لاحِظْ تعبيره «نهبوا وحرقوا» بعدما اتَّهمهم بالرغبة في السيطرة السياسيَّة...

---

(١) بتاريخ ١٩٩٨/٦/٢.

(٢) تتبَّعْنا مقالاته... وبعضها يفتقر لبديهيات لِمَنْ يُتابع الشؤون الإيرانية، وبعضها مشحون بالمغالطات، وبعضها يعجُّ بالمبالغات والنَّقل الشعبي غير الموثَّق.

ثم لم يُحدِّثنا عن كيفيَّة التنسيق بين هذه الجيوش الزاحفة. . . ومن بلدان متعدِّدة.

وكيف سيكون عملهم بين مئتي مليون إنسان. . . وجيش قوي؟!.

وعلَّق صحفي أندونيسي كبير على ذلك قائلاً: هل مَنْ كتب هذا الكلام هو من أصحاب الأقلام الساخرة والفكاهية أم الجادة؟!

* * *

المهم في كل هذا، الحذر من أمثال هذه النماذج المنهزمة و«المنبطحة» والتي أخذت بطريقة أو بأخرى تُساعد الأعداء على أبناء جلدتهم. . . حتى وصل بنا الحال، ما نُقل، مِنْ أنَّ بعض الشركات الأجنبيَّة العاملة في الشرق الأوسط، أخذت تُضيف شرطاً جديداً إلى عقودها في منطقتنا، ينصُّ على تأمين الشركة ضد «مخاطر تطبيق الشريعة»!

**والمهم أن يتحمَّل المسلمون جميعاً مسؤولية الدفاع عن الإسلام، خاصة أولئك الذين يملكون خلفيَّة إسلامية أصيلة، و«إطلالة» ما، من خلال موقع مؤثِّر أو ظروف مناسبة.**

# تحدَّثوا عن أُفول الإسلام... ولكنْ شُبِّه لهم

تمادى الكثيرون، خاصةً في القرن الأخير، في التَّنبوء بقرب نعي الإسلام، حتى توقَّع البعض أن تخلوا المساجد من قاصديها، وتُحوَّل إلى متاحف!

**لكنْ كلُّ التطورات والأحداث كانت على خلاف هذه التوقُّعات المتسرِّعة، والانتظارات الحاقدة، والتربُّصات الكامنة...**

خاصةً في العقود الثلاث الأخيرة من القرن العشرين.

فلم ينته الإسلام، ولن ينتهي... لكنْ شُبِّه لهم.

تحدَّث بعضهم عن فصل الدين عن الدولة[1]، وتأويل الرسالة الدينيَّة (أنطون سعادة ـ علي عبد الرزاق)... ولهذا الاتجاه خط فكري مازال قائماً حتى الآن.

وتحدَّث البعض الآخر (صادق جلال العظم ـ عزيز العظمة)

---

(١) أنظر كتاب «وسوسة الشيطان الرجيم» والردّ عليهم، صفحة ٩١ ـ ١٠٨، وكتاب «هل انتهى دور العلماء» صفحة ٢٣.

عن الدين الذي همُّهُ شلُّ العقل البشري، واستغلال حاجات الإنسان وقلقه ومخاوفه من أجل استمرار السيطرة عليه.

لكنْ، بعد «الصَّدْمة» التي أحدثتها النهضة الإسلامية في العالم في مطلع الثمانينات، بما فيها التصدي لدولة اليهود «التي لا تُقهر»... اضطرّ البعض إلى «اكتشاف» إيجابيات في التراث والتاريخ والإسلام «الثوري»!

وظهر لهؤلاء أنّ مقياس الإسلام والمسلمين يختلف عن الحقبة الأوروبيَّة في الفصل بين الدين والدولة، وبين الدين والمجتمع... ويختلف عن الممارسة السوفياتية، التي أكثرهم تلامذتها، في إلغاء الدين بالقوة على مستوى المؤسسة والفرد.

فلا داعي عندئذٍ، بل من الخطأ، التنظير لعلمانية متشدِّدة، تُنتج كياناً عربياً، ليس للإسلام فيها وجود!

ولا ندري إنْ كان بمقدور هؤلاء الإتيان بمثال واحد فقط اجتمع فيه العرب أو برزوا ككيان وحضارة أو كحضور على الساحة العالميّة... من دون الإسلام.

**ومتى كان للعرب وجودٌ يُلْتفتُ إليه من دون الإسلام؟**

ومن الطريف التأمُّل بكتابات صادق جلال العظم في فترة ١٩٦٨ عندما كتب «نقد الفكر الديني» وتحدَّث عن الخرافة الدينيَّة، وهاجم الذين يراعون الدين، وطالب بمواقف مُتشدِّدة

منه «والتَّمَرْكُس»[1] أكثر . . . من الطريف، أنَّه في كلمته عام ١٩٨٨ بجامعة كولومبيا (بعد عشر سنوات من انتصار الثورة في إيران) أكَّد أنَّه منذ الستِّينات دعا إلى الخيار الحرّ للناس، والديمقراطية[2]!

وكم أضحكت نكتته آنذاك، كلَّ مَنْ له ذاكرة قويَّة.

**وقد حان الوقت ليعترف الجميع، أنَّ الثلث الأخير من هذا القرن الميلادي تبلورت فيه حركة قويَّة ذات خلفيَّة أصيلة، تدعو إلى قيام دولة إسلامية.**

وانتقل الإسلاميون من الدفاع إلى الهجوم.

---

(١) نسبة إلى «ماركس».

(٢) راجع جريدة «السفير» اللبنانية، العدد ٧٩٥٦، الخميس ٢٦ آذار ١٩٩٨.

# الإسلام بين التشويه والتضليل

**غريب أمر هؤلاء الذين يُصرّون على إقحام الدين بالقوة تحت شعارات الرجعية والتخلّف والتزمت والجهل والعصبية و«الأصولية»... بينما يدرجون الأفكار المستوردة والملتقطة والمدجَّنة والمهجَّنة تحت عناوين الحضارة والانفتاح والتطور والتمدن والعلم!**

غريب أن تصادر أحكام الشريعة بحجة أنها ظلامية متخلفة لا تتماشى مع ضرورات العصر والقرن الحادي والعشرين... وما هي إلاَّ أحكام وآراء «رجال الدين»!

بينما يُسَوَّق لكافة الأفكار والنظريات الطارئة والعادات الدخيلة على أنها مواكبة للعلم، والتحاق بركب التطور!

**يا ترى هل أصبحنا مستغربين (مقابل المستشرقين) إلى الحدّ الذي لم نعد نميّز فيه بين المفاهيم الإنسانية العامة، ومقومات العقيدة، وهذه الثروة التي لا تُثمن من العادات والتقاليد والعلوم والحضارة والتجربة التاريخية الفريدة... وبين ما هو لقيط أو دخيل؟!**

فكأنَّ بعض «المنفتحين» يصرّون على إغلاق بصرهم وبصيرتهم عن حقائق تاريخية لا يملك أحد إنكارها أو غضّ النظر عنها.

وكأنَّ أسماعهم لم تلتقط بعد التغييرات الجذرية التي حدثت في العالم في العقدين الأخيرين، حيث عاد الإسلام قوياً وثابتاً وواثقاً ومؤثّراً.. إلى الساحة العالمية؟

وكأنهم يصرّون على سياسة «رأس النعامة» في عدم الإقرار بما يجري في طول وعرض العالم الإسلامي، من المحيط إلى المحيط... وفي العالم، هذا مع العلم أنّ عدم اعترافهم لا يدلّ على عدم الوجود، وأن كراهيتهم للواقع الجديد وللعودة المظفّرة لن تغير من الواقع شيئاً.

ولا يدري أحد حتى الآن، ماذا تنفع هجومات التضليل وحملات التشويه في تبديل الواقع، وتأثيرات الوقائع، ولو تخيّلوا أمجاداً ضائعة، صالت وجالت، منذ بدايات هذا القرن... ولو توهموا أن أحلام اليقظة تسمن أو تغني من جوع؟

أنسي هؤلاء أنّ ما يتكئون عليه أصبح في متاحف التاريخ؟

وفي هذا الخضم لا تنفع كل المصطلحات «التنويرية» والمصطلحات المطاطة التي تقبل التأويل والتبديل والتحويل... والتضليل، من قبيل:

الانفتاح والحضارة والإنسانية والتطور والسلام... مع

العلم أن نتنياهو وكلينتون أيضاً ينشدان السلام!!!

إلى متى يصرّ البعض على إخفاء نور الشمس في رابعة النهار، ولا يحيق المكر السيىء إلاَّ بأهله.

* * *

**ويواصل بعض «المثقفين» هجومهم على التقاليد البالية،** والعادات القديمة، بحسب ادّعائهم، **في المجتمع «الشرقي» وهم يقصدون كما لا يخفى، المجتمع الإسلامي**... وهدفهم الأساس التهجّم على الإسلام وآيات القرآن والشريعة والأحكام.

فهم يطالبون بإنصاف المرأة بواسطة أفكار وممارسات أقل ما يقال فيها أنها تلهُّف للالتحاق بركب المجتمع الغربي الذي هجره أصحابه لعقمه.

ويقاتلون من أجل الزواج المدني... بينما الذين طبّقوه يعانون من آثاره الهدامة على الأسرة والمجتمع.

ثم يعقدون المؤتمرات تحت عناوين «قمع العنف» و«حقوق الإنسان» و«حرية الرأي» ويُتبعون ذلك بسيل من التحركات والندوات والمقالات منتقدين صريح آيات القرآن... وإن لم يصرّحوا بذلك لفظاً[1]، وإلاَّ فما معنى

---

(١) راجع رضوان السيد «السفير» الخميس ٢٦ آذار ١٩٩٨.

دعوتهم لإنصاف المرأة لأنها مظلومة في الميراث والحجاب والحقوق والهيمنة «الذكورية»!

**ليس من الواضح لماذا يدفع البعض الأمور لتصل إلى معادلة مفادها:**

**كل ما يأتي من الدين، تخلّف ورجعية وتزمت وتعصّب... ومخالف للعلم.**

**وكل ما يأتي به المخالفون للدين، تقدّم وتطوّر وتنوّر وتحضّر... وعلم.**

فإلى هؤلاء، كلّ هؤلاء، أن يعترفوا بحقيقة، وإن كانت مرّة، في أنّ الإسلام عاد بقوة وزخم إلى الساحة العالمية، وإن كانت تمنياتهم تخالف ذلك، وأن عدم الرضى لا ينفي الواقع، وأن للإسلام مريدين ومشتاقين ومعجبين وفدائيين يحملون مبادئه وعناوينه وعلومه ومصطلحاته... ولا يرضون عنها بديلاً.

ونظن أنه لم يغب عن بال هؤلاء، أنّ مقولة «الدين أفيون الشعوب» لم تعد صالحة للاستعمال.. والتضليل، وآن الأوان للكف عن الحديث عن «التطرّف والتخلّف والتزمت»... وقصد الإسلام بذلك.

**فالركب يسير، والمسيرة تمضي، وعدم الوجدان لا يدلّ على عدم الوجود.**

أخيراً، ثمة سؤال يطرح:

هل يكفي أن ينعت فريق نفسه أنه «تنويري» وتقدمي ليكون الآخرون «ظلاميين» ورجعيين... ثم يكتفي بذلك؟!

**إنّ غمض العين لم يكن في يوم من الأيام حاجباً للشمس**[1].

(١) مقال للمؤلِّف، نُشر في جريدة «السفير» اللبنانية بتاريخ ١٥/ ٤/ ١٩٩٨.

# نداء صادق

لا بُدَّ هنا من نداء حارٍّ وصادق إلى مَنْ يُسمَوْن بالنُّخب و«المثقَّفين»[1] إلى وَقْفةٍ جريئة وعزيزة بعيداً عن المكابرة وسياسة «رأس النَّعامة» للتعرُّف على الإسلام صافياً من دون افتراءات... لأنَّ الإصرار على التباعد والتجاهل، لا يحلُّ المشكلة، وليس لمصلحة أحد.

فضلاً عن حالة البُعْد المتمادي «والنَقْزة» القائمة بين هؤلاء وبين «الجماهير الشعبيَّة» التي صفَّقت لهم طويلاً في أوقات الفراغ:

الفراغ العقائدي، والفراغ الزَّمني.

فلم تكنْ آنذاك الاشتراكية قويَّة، ولا الماركسيَّة، ولا الفلسفة الماديَّة، إنْ كانت غربيَّة أو شرقيَّة... إنَّما كان الإسلام مُغيَّباً:

فلمَّا ظهر النُّور، تبدَّد الظلام.

* * *

---

(١) ما هو تعريف المثقَّف برأيهم يا تُرى؟!

ورد في وصيَّة الزعيم الشيوعي الإيطالي «تولياتي»:

«ضرورة التخلِّي عن التدابير والاتِّهامات السلبيَّة القديمة التي كانت تُوجَّه صراحةً إلى الإسلام، ومنها الدعوة الدائبة إلى إحلال نزعة القوميَّة العربية أو الفلسفات الماديَّة والإلحاديَّة محلَّه».

وحذَّر تولياتي «من مغبَّة المواقف السلبيَّة الصريحة ضد الدين عامة، والدين الإسلامي خاصة».

وأوصى «بتفهم الإسلام والتسرُّب إلى داخل بنيانه، ثم العمل من هناك على توظيفه بالسُّبل الكثيرة الممكنة، لمصلحة الفكر الماركسي والاشتراكي»[1].

فهل في هذا عبرةٌ ودرسٌ «للمثقَّفين» الذين غيَّبوا بل شوَّهوا الإسلام في عقول الناس؟

---

(١) أنظر «الشرق الأوسط» ١٩٩٨/٦/٣٠ الصفحة العاشرة.

# عاد أخي «الجديد»

أشرق ثَغْرُ أخي، الذي كنّا قد تعرَّفنا عليه في بداية هذا الكُتيِّب، وقال:

أَنْعَشَتْني أحاديثُك في الأيام السالفة، وفهمتُ الكثير عن الإسلام وعن المؤامرات التي حيكت ضُدَّه... وقد زاد هذا في إيماني به، فلو لم يكنْ ديناً حقّاً، لكان من الصَّعْب أن يبقى ويستمر... بل الذين ينتمون إليه في كل يوم، في جميع أنحاء العالم، كُثُر.

ثم تابع أخي بدماثةٍ عُرفت عنه، وابتسامةِ المطمئن:

هل لي أنْ أُعبِّر عمَّا يجول في خاطري؟

أجبتُهُ:

نعم، إنِّي لذلك لمشتاق.

(وأنا أشعر حقّاً أنِّي أستفيد منه: من صفائه، وحماسه، وتوقُّد فطرته)

قال:

أعجبني تعبير «الانبطاح» في حديثك، لأنَّه يعكس الواقع . .

وأعجبني تعبير «الانهزام» لأنَّه سياسة الأكثرية . . .

لكنْ، أُطمئِنُكَ، أنَّ ذلك إلى انكفاء «والله مُتمُّ نورِهِ» .

(سُررتُ منه، لأنَّه بدأ يُرصِّع كلامه بكلام الله عزَّ وجلّ) .

فعلاً، بدأ عصرٌ جديد، والدليل على ذلك، «أنا» .

(استغرقتُ في النظر إلى عينيه الواثقتين) .

تابع :

نعم، أنا الذي أقف أمامك، دليل ماديٌّ حيٌّ، على أنَّ نورَ الإسلام يطغى على ظلمات الجاهليَّة .

وإلاَّ،

كيف اهتديتُ أنا وأمثالي؟

فعلاً : انتقلنا من الدفاع إلى الهجوم .

* * *

**المشكلة يا أخي، في المسلم الذي يحتقر نفسه، ولغته، وتاريخه . . . ويخجل بأهله وتربيته وحجاب زوجته!!!**

المشكلة في المسلم الذي يخجل بصلاته فيؤخِّرها . . . وبالحكم الشرعي فيؤوِّله، ويُفتِّش عن الأعذار والاضطرار .

المشكلة في بعض «المدَّعين» الذين يُفتِّشون عن جزء آية، أو حديث، أو يُحرِّفون جملة، أو مشهداً يُخرجونه عن سياقه . . .

كل ذلك ليُعبِّروا عن تشاؤمهم .

كأنَّه لا تكفينا الدسائس اليهودية والحروب الصليبيَّة (وهما مستمرَّتان) على كلِّ رمز أو ضوء في تاريخ الإسلام .

ألا يكفينا ما تحمل مُسْتنقعاتُنا من بعُوضٍ وحشرات سامة . . . حتى تجعل الجميع مرضى؟

وتابع أخي يقول :

أعجبني تعبيرك في أنَّ «أخطر الأمور أنْ يُهزم المسلم من الداخل» .

نعم، صحيح هذا الكلام، كأنَّك تستقرأ النَّفس البشريَّة :

فالهزائم تجرُّ الهزائم . . .

إلاَّ المسلم، الذي يُؤمنُ بأن الأمر كلَّه بيد الله عزَّ وجلّ، والغلبة والنصر والرزق والفتح والحياة والموت .

المسلم فقط : لا ينهزم .

ألا يدور الأمر بين النَّصر والقتل :

نصرنا في عين الله .

وقتلنا في عين الله.

ونحن لله، ومن الله، وإلى الله راجعون.

ومَنْ له تأثير في هذا الكون إلاَّ الله، جلَّ جلالُهُ؟!

* * *

أمَّا المسلم الضعيف أمام الغرب وكُفْره:

فإنْ كان قصيراً، رأى أنَّه أقصر مما يجب... وهذا إمعانٌ في استسلامه.

وإنْ كان طويلاً، رأى أنَّه أطول مما يجب... وهذا ضعف ثقةٍ بالنَّفس.

أو يرى أنَّه غير متحضِّر أو جاهل أو فقير...

أو أنَّه لا يليق بالنظام العالمي الجديد!

**والمسلم الحقُّ، يتذكَّر دوماً أنَّ الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه.**

يعلو على عادات الجاهلية وأفكارها وممارساتها و«موضتها» ومفاهيمها وحيوانيَّتها...

يراها فاسدة مُفْسدة، ضالة مُضلَّة.

* * *

المسلم الضعيف، يسقط من الداخل:

يخجل بمظهر أبيه، وبشكله الخارجي، لأنَّه لا يتلاءم مع مواصفات الرجل النموذج الذي رآه في الأفلام الأميركية،

يرى أباه قاسي الملامح، لا يُشْبه بأيٍ من صفاته «Top Model» الذي تُروِّج له وسائل الإعلام.

يرى أمَّه من دون «مكياج» ومساحيق... وعمَّه لا يحمل شيئاً من صفات و«فروسية» «رامبو»... وخاله لا يملك ثروة «روكفلر»... وجدَّه لم يُورِّثه قصراً في اسكتلندا أو يختاً في مونتي كارلو..

فينهزم.

ثم تراه يخترع لغة: لا هي لغته، ولا هي لغة الآخرين.

ويخترع عادات: لا هي عاداته الأصيلة، ولا هي العادات الدخيلة.

ويخترع تاريخاً: ماسخاً تاريخه، ومدَّعياً تاريخاً غير موجود.

ويتصرف بطريقة: فلا هو مهجَّن ولا هو مدجَّن.

**ويلتقط من هنا وهناك:**

**فلا يرى نفسه شيئاً، ولا يراه الآخرون شيئاً.**

**فلا حافظ على ما عنده... ولا اعترف به الآخرون.**

هو موجود بقدر اعتراف الآخرين به، وبما يسمحون به، وبما يريدونه، وبما لا يتنافى مع مصلحتهم. . . على أن تبقى كلُّ الخيوط في أيديهم.

هذا المسلم الضعيف، لا لون له ولا طعم ولا رائحة.

هذا مسلمٌ ضعيفٌ لا يُحبُّهُ اللَّهُ ولا رسولُهُ.

* * *

أمّا المسلم القوي:

فثابت الجنان، واثق الخطى، واضح المبدأ، يعرف مساره، يبدأ من حيث يجب، وينتهي حيث هو مفترض، يُنزِّل الدنيا منزلتها، ولا يزهد بالآخرة، يفتخر بتاريخه. . .

تزول الجبال، ولا يُنتقص منه بشيء.

يتغيَّر الحديد، ولا يُغيِّره شيء.

هو هو، مسيرتُهُ واحدة، مسيرةُ الأنبياء، منذ آلاف السنين، وحتى تُمْلَءَ الأرضُ قسطاً وعدلاً، ويَظْهر دينُ الله على الدين كلِّه. . .

* * *

المسلم الضعيف، ويا للأسف:

يتردَّد في الانتماء إلى هذا الدين. .

يتظاهر بما لا يؤمن به. .

يُسلِّم للدين تارة. . . ويتراجع تارة أخرى.

إذا آمن الجَمْعُ، آمن، وإذا انخذلوا انخذل. . فهو مع الأكثرية، وإنْ كانت على باطل.

يتظاهر بالانتماء لهذا الدين، إذا تظاهر الجميع بذلك. . . أو إذا لم يُزْعِجْهم انتماؤه!

هو مع الدين، إذا لم يُضرَّ بدنياه. . . وإلاَّ فضَّلها عليه!

إنقلبت عنده المقاييس:

هو مع الدين إذا كان مزرعة لدنياه!!!

يبيع يقين دينه بأوهام دنياه. . .

**المسلم الضعيف، مريض، يتوهَّم، أنَّه بمجرّد أن خرج عن دينه، فقد انتمى إلى روح العصر الجديد،** وأصبح لائقاً لعضويَّة النظام العالمي الجديد!

المسلم الضعيف ينتمي إلى حطام التاريخ والقوميَّة والوطنيَّة والعشائرية. . . وما يفرضه الآخرون.

ويُحاول ابتداع «أصلٍ» أشوري أو كلداني أو فرعوني أو فينيقي. . . وهو يعلم أنَّ ادِّعاءه غير صحيح، وعلى كل حال، ليس مظهراً للافتخار، لكنْ، نتيجة ضعف ثقته، همُّهُ فقط أن يبتعد عن الإسلام!

المسلم الضعيف يرى الجمال في العينين الزرقاوين،

والشعر الأشقر، والملامح البريطانية[1]... ولا يحبُّ الأسمر أو الحنطي أو مَنْ كان شعره أسود...

يُحبُّ أشجار السَّرو التي ترمز إلى «الميلاد»، وعربة «بابا نويل»... ويكره شجرة النَّخيل.

يُعجبُ بالعدو... وإن شتمه وحقَّره وحاربه (وهو كذلك فاعل)..!

**لا يعرف عن الأنبياء شيئاً، ولا أتباعهم ولا الحواريين ولا الصحابة... ولا يريد أن يعرف، حتى لا يُتَّهم...**

ويعرف عن جنرالات الغرب وجواسيس بريطانيا و«أبطالهم» الذين قَتَلوا آباءه وأجداده... وإنْ عفوا عنه حتى إشعار آخر!

**المسلم الضعيف، يرى كلَّ علمائه... جهلة، وكل مَنْ تفوَّه بنظريَّة من الآخرين... عالماً.**

يراه كذلك، فقط لأنَّه لا ينتمي إلى دينه.

* * *

وما يُبشِّر بالخير، أنَّ مجموعة ولو محدودة من أبناء هذه الأمَّة، أخذت زمام المبادرة أخيراً.

تطرح ما عندها، تفتخر بذلك، تُدافع عن الأصول، تُناقش

---

(١) راجع «الفريضة المهجورة» للمؤلِّف، صفحة ١٩.

المضلِّين، تثق بما عندها، تعتزُّ بتاريخها . . .

ترى كتاب الله فوق كل شيء .

وترى سُنَّة رسول الله ﷺ فوق كلِّ اعتبار، كافية وافية .

**وقد آن الأوان أن ننتقل من الدفاع إلى الهجوم**، إحقاقاً لقوله عزَّ وجلّ .

﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب المباركة، الآية ٣٩.

# الفهرس


الإهداء ..... ٥
المقدمة: لماذا الشعور بالمسؤولية؟ ..... ٧
قصة طريفة... وحزينة ..... ١١
رواسب التاريخ ..... ١٣
هدف المدارس التبشيرية ..... ١٦
عندما إنتقلنا من الدفاع إلى الهجوم ..... ٢٠
الآية ١٢٠ من سورة البقرة تحسم المسار والمصير ..... ٢٧
أخطر الأمور: أن يسقط المسلم من داخله ..... ٢٩
هل تحرمُ الاستفادة من الغرب؟ ..... ٣٢
إعتراف هام ..... ٣٨
أيُّ علمٍ مجَّده الإسلام؟ ..... ٤٢
على المسلم أن يطَّلع على تاريخه ويفتخر به ..... ٤٧
بعض المسلمين ينهزمون مرَّتين ..... ٥١
تحدَّثوا عن أفول الإسلام... ولكنْ شُبِّه لهم ..... ٥٧
الإسلام بين التشويه والتضليل ..... ٦٠
نداء صادق ..... ٦٥
عاد أخي «الجديد» ..... ٦٧

## صدر للمؤلف

١ ـ سلسلة آداب السلوك في الإسلام (٩ أجزاء)
٢ ـ سبيلُ الرشاد
٣ ـ زُبْدةُ الأربعين حديثاً
٤ ـ وسوسة الشيطان الرجيم
٥ ـ قَبَساتٌ من نهج البلاغة
٦ ـ حديثُ السحر
٧ ـ أختاه
٨ ـ أخي الحبيب
٩ ـ أخلاقُ النَّبي
١٠ ـ همساتٌ للآخرة
١١ ـ قال علي
١٢ ـ صفاتُ اليهود
١٣ ـ نهجُ الصالحين
١٤ ـ قلوبٌ تهوي إلى عرفات
١٥ ـ آداب اجتماعية
١٦ ـ أبتاه

١٧ ـ أخي المعلّم
١٨ ـ الإسم الميمون لقرة العيون
١٩ ـ وصيَّةُ المسلم
٢٠ ـ هل انتهى دور العلماء؟!
٢١ ـ أشهُرُ العبادة (رجب ـ شعبان ـ شهر رمضان)
٢٢ ـ لِمَ لا نخشع في الصلاة؟!
٢٣ ـ لماذا يضعف الإيمان؟
٢٤ ـ وجوبُ دعوة النَّاس إلى الإسلام
٢٥ ـ عندما إنتقلنا: من الدفاع إلى الهجوم
٢٦ ـ مُسْتحَبَّات وسُنن

# عندما إنتقلنا
# من الدفاع إلى الهجوم

# عندما إنتقلنا
# من الدفاع إلى الهجوم

تأليـــف
السيد سامي خضرة